والشركي، فأحرى أن يرجع إليه إصلاحاً لما أفسدوا زعم الانتساب إليه في شرعتهم وطقوسهم.

هنا يبدأ بشريطة الإمامة الإبراهيمية، وهي الابتلاء العظيم، إمامة لها شروطها وظروفها الخاصة كنبراس شامل لإمامة الرسالة ورسالة الإمامة على طول الخط.

ذلك - وليعلم بنو إسرائيل، ألّا يرثوا الإمامة من إبراهيم كسائر الميراث الذي لا شرط فيه إلّا قرابة الدم واللحم على شروطها، فإنما هي على شرط التوفية الشاملة لكلِّ الابتلاءات الربانية وترك المظالم كلها مهما لم يكن من ذريته، أم كان منهم من إسرائيل، أم كان من بني إسماعيل حين تنقرض شروطات الإمامة في بني إسرائيل:

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾:

﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ مذكورة في سائر القرآن (٦٩) مرة في (٢٥) سورة وهي لغة سُريانية قد تعني أب الجماعة الكثيرة وقد قرُئت بأشكال تسعة[1] أثبتها وأضبطُها ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ حسب متواتر القرآن.

(١) والثمانية الأخرى هي: «إبراهام - إبرَهِم - ابرَهَم - ابراهِم - ابراهَم - ابراهمُ - ابرَهوم» والظاهر أن هذه كلها إلّا لفظ القرآن سريانية أم عبرانية، والمعربة الصحيحة هي «إبراهيم»، وقد فُسّرت بتفاسير عدة كـ «أب رحيم» بريء من الأصنام هام إلى ربه - الشديد النظر - والأولان بعيدان لأنها سريانية لا تفسّر بتجزئات عربية، رغم أن ذلك خلاف التجزئة أيضاً، فأين أب من أب واين راهيم من رحيم! مهما عنت الأب الرحيم من غير هذا التحليل، وقد يعني الأب العالي كما في قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست، يعني أب الجماعة الكثيرة (التكوين ١٧ - ٤ و٥): «أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم (٤) فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم (٥) وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً». وهنا نعرف أن «أب» في السريانية هو الأب و«راهم» هو جمهور الأمم.

ولماذا هنا ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ تقديماً للمفعول وهو مفضول؟ علّه اختصاصاً له بذلك الابتلاء، أم ولأن ﴿رَبُّهُۥ﴾ لا مجال له أدبياً لولا تأخيره إلّا تحريراً له كـ«ابتلى رب إبراهيم إياه» فنقصان في أدب اللفظ، أم «ابتلى ربّ العالمين - أو - الله - إبراهيم» فنقصان في حدب المعنى حيث القصد بيان ربوبية خاصة في ذلك الابتلاء.

وهنا ابتلاء رباني خاص لإبراهيم الخليل يبتليه به ربه في أُخريات حياته كما تلمح له ﴿مِن ذُرِّيَّتِى﴾ فقد كانت له ذرية بعد الإياس: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[١] فلما وهب له ذريته قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[٢].

ثم ومن أهم الكلمات التي ابتلي بها فأتمها بعد نفس الإمامة هي قصة ذبح إسماعيل وهو بكر ذريته: ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ... إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾[٣] [٤].

إذاً فقد كان ابتلاؤه بكلمات فأتمهن، وكان ذلك في أُخريات حياته النيرة، مهما شملت «كلمات» طول حياته النيرة التي كانت كلها ابتلاءات بكلمات مهما كانت درجات فـ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ تشمل ذريته من إسماعيل كما من إسحاق.

والابتلاء الرباني هو الامتحان الاختبار ليظهر بإتمامه مكنون اللباقة واللياقة، إما للمبتلي والمبتلى أمامه كما في الخلق، أم دون الأوّل كما

(١) سورة الحجر، الآية: ٥٤.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٠٢-١٠٦.
(٤) ومن ذلك ابتلاؤه بأبيه آزر ونمرود وسائر المشركين، ومن أبرز بلائه هنا إلقاؤه في النار وقول جبريل له: ألك حاجة؟ وجوابه: أما إليك فلا، وعلّ فوقه بلاءً ابتلاءه بذبح اسماعيله عليه السلام.

للخالق فإنه يعلم السرَّ وأخفى، وقد يكون الابتلاء من خلفيات اعتداء الناس قضية إيمانك أو سواه، أو من نتائج تخلفك عن شرعة الله.

ثم وليس الابتلاء الرباني الإيماني إلّا في أمور صعبة ملتوية معقدة، لا يسطع لها إلّا الأشداء الأقوياء، ويسقط دونها الضعفاء.

وإذا كان المبتلي هو الرب فالبلية هي الأشد حسب مختلف الأهداف منها بدرجاتها، ولأن الإمامة الرسالية هي القمة المرموقة من درجات الكمال، فالابتلاء الهادف إليها، المحضِّر لها، هي أصعب البليات وأنسبها لهذه الدرجة العليا.

وهنا ﴿رَبُّهُۥ﴾ دون «رب العالمين» أمّا شابه، مما تلمح صارحة صارخة أن هذه البلية بكلمات هي بلية ربانية كما تناسب الساحة الإبراهيمية وسماحتها وكما يسطع له ويليق به دونما إطاقة تزيل الطاقة.

وهي مناسبة لتلك الإمامة الخاصة التي هي فوق الرسالة والنبوة حيث جُعلت له بعدهما.

أترى - إذاً - ما هي الكلمات؟ أهي - فقط - كلمات لفظية حمِّلت عليه ليقولها؟ وليست فيها تكلُّفات وبليات! فكثير هؤلاء الذين يُكثرون من كلمات طائلة - أية كلمات - وليس لهم فيها ابتلاء، ولا هم آهلون لمعانيها ومغازيها، ولا أنهم مطبقوها! ثم التلفظ بهذه الكلمات ليس إتماماً لها: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ بل هو «قالهن» أمّا شابه.

أم هي - فقط - أعمال شاقة لا يسطع لها إلّا أقوياء بالإيمان؟ وصحيح التعبير عنها وفصيحه هو «الأعمال» أو «الصالحات» أما شابه دون «كلمات»!.

علّها هي كلمات الله التشريعية: الآمرة والناهية، الخاصة بموقف

الابتلاء الإبراهيمي، التي يخلِّف إتمامها الإمامة بإذن الله؟ ولكن ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ بضمير جمع العاقل قد لا تناسبها!.

أم هي - فقط - تطبيق هذه الكلمات بما فيها تحمل الإمامة وذبح إسماعيل فتحقق ضمير العاقل؟ إضافة إلى مواد عاقلة في سائر ابتلائه فإنها من منتوجات كمال العقل واللب.

قد تعني «كلمات» هنا كلا الأمرين الإمرين، فاستماع تلك الكلمات التشريعية ولا سيّما شرعة الإمامة، الحصيلة عن سائر الكلمات، إنه ابتلاء، وتقبلُّها دون تعنُّت وسؤال ابتلاء، وتطبيقها ابتلاء، كما وقصة أمره بذبح إسماعيل ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾[1] تشمل مثلث الابتلاء، الذي لا يخلد بخلد أي مبتلى.

فإبراهيم: كلمة الله، توجهت إليه كلمة الله - وهي أمر الله - أن يذبح إسماعيل كلمة الله، وذبحه هو كلمة الله، الدالة على قمة التسليم لله، كما وتحمل الإمامة من علياً هذه الكلمات، وهنا ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ لائقة بهذه الكلمات، فقد أتم استماع الأمر، والإيمان به، والتسليم له، ثم وتطبيقه.

ذلك! كما ومن الكلمات كلمات الله العليا الأربعة عشر المحمديون «أتمهن» إلى القائم اثنا عشر إماماً تسعة من ولد الحسين[2].

والإتمام في ميزان الله - إن صح التعبير - هو إله الإتمام، الذي ليس فوقه إتمام.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٦.

(٢) نور الثقلين ١: ١٢٠ في الخصال عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن الآية ما هذه الكلمات؟ قال: التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت علي فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم، فقلت له: يا بن رسول الله فما يعني عزوجل بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؟ قال: أتمهن إلى القائم . . .

إذاً فكلّ الابتلاءات الإبراهيمية طول حياته النيرة تشمله «كلمات» وهي الدالات على العناية القمة التربوية الربانية فيما أمره ربه ونهاه، والدالات على قمة التسليم قلبياً إذ سلم له، والدالات على تمام التسليم وكما له إذ طبقها، و«أتمهن» هنا كما تعني أن الله أتم هذه الكلمات في إبراهيم تأييداً وتسديداً، كذلك تعني أن إبراهيم أتمهن حسب الطاقة البشرية مزودة بعصمة ربانية، ويقابله تركهن، أو انتقصهن، لا! بل «أتمهن» كما أراده الله منه، وأتمهن الله تتميماً لناقص الإرادة البشرية بعصمة إلهية.

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾:

هنا ﴿قَالَ﴾ دون «فقال»: تفريعاً للإمامة على إتمام الكلمات، لأن إتمامها ليس إلّا ظرفاً صالحاً لجعل الإمامة، لا نتيجة ضرورية مفرّعة عليه، أم ولأن من هذه الكلمات هي كلمات جعل الإمامة: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ - ومنها قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، ثم جوابه: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فإن الإمامة ولا سيّما هذه الكبرى ابتلاء عظيم بمسؤوليتها الكبرى، ثقيلة على من يُحمِّلها، عظيم حِملها بحَملها، ولكن إبراهيم عليه السلام أتمها وأتى بها كما أريد منه.

ثم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ مما يدل على انحصار جعل الإمامة بالله، وانحساره عمن سواه، و﴿جَاعِلُكَ . . . إِمَامًا﴾ حيث اسم الفاعل عامل في مفعوليه هنا، دليل أنه جعل في الحال، حيث الفاعل الماضي لا يعمل، وأما الاستقبال فهو مجاز يحتاج إلى دليل وصدق المشتق بمادته ليس إلّا بصادق واقعها في الحال.

والإمامة بإطلاقها هي القيادة الحقة كما هنا أو الباطلة كما ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ

أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[١] وليس المعني منها في ذلك الجعل ما دون العصمة من القيادة فإن إبراهيم معصوم حينه بأعلى درجات النبوة، وإن الله لا يجعل قيادة روحية بانتصاب لمن هو دون العصمة، فإنه قد يُخطئ أو يقصِّر أو يقْصُر، فكيف يأتمنه الله على قيادته للناس؟!.

بل وليست هذه الإمامة هنا هي الرسالة أو النبوة، فإنهما مجعولتان له ماضيتان، ونفس ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ وحياً دليل على حاضر الوحي رسالة ونبوةً، فكيف يجعله صاحبَ وحي وهو رسول، كما وهو الآن في مختتم عمره وقد آتاه الله الحكم والنبوة في شبابه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢] - ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ. . .﴾[٣] وذلك حين كان فتىً وهو يحارب الآلهة المزيفة وعُبّادها: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾[٤].

فلأن الإمامة هنا هي بعد كامل العبودية والنبوءة والرسالة والنبوّة والخلقة[٥] حيث تخطَّاها إلى القمة مرحلياً كلًّا تلو الأخرى، إذاً فهي الإمامة بين المرسلين دون سائر الناس فحسب، حيث الإمامة الرسالية على الناس كانت له سابقة، فلتكن الإمامة الحاصلة بعد إتمام كلماتها هي الإمامة على المرسلين كما هم على سائر الناس.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٤١.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٣.
(٣) سورة مريم، الآيتان: ٤١، ٤٢.
(٤) سورة مريم، الآية: ٤٩.
(٥) تفسير البرهان ١: ١٤٩ عن الكافي بسند متصل عن زيد الشحام قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً وإن الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال: فمن عظمها في عين إبراهيم ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] قال: لا يكون السفيه إمام التقي.
أقول: «نبياً» هنا تؤول إلى النبوءة فبعدها الرسالة ثم لم يذكر النبوة بعدها اكتفاء بالخلة.

فكلّ رسول - غير أولي العزم الذين دارت عليهم الرحى - هو إمام أمته، وولي العزم فوقه هو إمامه، مهما كان في زمنه أم يأتي بعده، فقد جعل الله كلًّا من أولي العزم إماماً لسائر الرسل والنبيين.

فموسى إمام وكتابه إمام، وطبعاً لكافة الرسل الإسرائيليين إلّا المسيح عليه السلام: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[1].

ثم الرسل الإسرائيليون بين الإمامين: موسى والمسيح، هم كذلك أئمة لمن دونهما: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

وهنا مرتبة ثالثة من الإمامة الرسالية تحلّق على ولاية العزم وما دونها من رسالات هي الإمامة المحمدية السامية، المنقطعة النظير بين ملاء العالمين، من الملائكة والجنة والناس أجمعين، كما يبيّنها هكذا أمثال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[4].

محمد صلى الله عليه وآله وسلم إضافة إلى أنه إمام سائر المكلفين، كذلك هو إمام

(١) سورة هود، الآية: ١٧.
(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٢، ٧٣.
(٣) سورة السجدة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

المرسلين والنبيين، وإمام على أولي العزم من الرسل نوح وابراهيم وموسى وعيسى، كما وهو إمام على الأئمة الاثني عشر من عترته المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، وإمام على كافة الكروبيين.

فـ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ تعني الإمامة الوسطى، دون العليا المحمدية، ولا الدنيا الرسالية لغير من دارت عليه الرحى من الرسل.

أجل! وإنها لا تعني أية إمامة رسالية بدرجاتها، لكي تطرد رسالة آدم عليه السلام إذ ظلم بما أكل من الشجرة فغوى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يعني عهد الإمامة الوسطى كما لإبراهيم، وبأحرى العليا كما لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر الإمامات في سائر الرسالات وأدناها رسالة آدم وقد ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

فـ ﴿عَهْدِي﴾ هنا هو ذلك العهد الخاص، دون أي عهد كان، فعهد الفطرة الإنسانية - المعبر عنها بفطرة الله - يناله كل إنسان، وعهد العقلية الإنسانية يناله كل عاقل، وعهد الشرعة الإلهية يناله كلّ مؤمن، وعهد الرسالة الإلهية لا يناله إلّا المصطفون مهما سبق لهم ظلمٌ مّا كآدم، ثم عهد الإمامة بين المرسلين لا ينال الظالمين، مهما كان ظلماً سابقاً مغفوراً.

وحتى إذا عنت ﴿عَهْدِي﴾ كل إمامة في مثلثها - شاملة لرسالة آدم - لم تكن ﴿الظَّالِمِينَ﴾ تعمّ ماضية الحال، بل هي حسب الوضع والاستعمال تعني الحال والاستقبال، فليكن من يُجعل إماماً غير ظالم حال جعله وحتى آخر عمره.

أترى آدم الذي ظلم بما عصى ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ هل هو طيّ هذه المراحل تشمله ﴿الظَّالِمِينَ﴾ وصفاً ماضياً بدّل إلى تمام العدل والاصطفاء؟!.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.

إذاً فلتشمل «المشركون» كل الموحدين الذين كانوا مشركين، ثم آمنوا وأصبحوا من المقربين كسلمان أمن شابهه من أفاضل المؤمنين.

وكما ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حالاً عند جعل الإمامة خارج عن ﴿عَهۡدِي﴾ كذلك ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استقبالاً، بمناسبة العهد الخاص الرباني الواجب ذكره على أية حال.

بل وكذلك ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ماضياً حين يكون فاحشاً كالشرك، أم أيّاً كان حين تكون الإمامة المطلقة التي تقتضي الاصطفاء المطلق بين ملإ العالمين.

فكما لا ينال عهد الإمامة الوسطى مثل آدم عليه السلام على عصمته حين اصطفائه بالرسالة، فبأحرى ألا ينال أمثال الخلفاء الثلاثة، أن يحملوا الإمامة القمة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فالإمامة التي هي عهد خاص رباني هي القيادة الروحية، مهما حملت - واقعياً كما هو شرعياً - القيادة الزمنية.

فمهما عُنْوِن الخلفاء الثلاثة ثم الأئمة الأربعة بعنوان الإمام، فهم ليسوا أئمة يحملون شرعة الله بذلك الانتصاب الخاص بعهد خاص.

ثم ﴿عَهۡدِي﴾ هنا - وإن على القَدْرِ المتيّقن - هو عهد الإمامة الإبراهيمية وهي بعد المحمدية فضلاً عنها، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعد ﴿فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ هم المنتقصون الكلمات المبتلى بها، ولأن الابتلاء لإبراهيم بتلك الكلمات يحلق على كلّ حياته، فإتمامها كذلك حذو النعل بالنعل.

فكلّ من انتقص كلمة من هذه الكلمات طيلة حياته، انتقاصاً في عِدَّتها أم عُدّتها، في مادتها أم هيئَتها، فقد يعد من ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين لا ينالهم ﴿عَهۡدِي﴾ هذا.

ومن أشرِّ الانتقاص هو الإشراك بالله، فكيف يجعل إماماً - بهكذا إمامة أم فوقها وهي المحمدية - من عبد وثناً ردحاً عظيماً من عمره.

فمهما لم تدل ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على الماضي، إلّا الانتقاص في تلكم الكلمات المحلّقة على مثلث الزمان، يمنع منعاً باتاً عن جعل تلك الإمامة الكبرى.

ولم تقل «ينال عهدي العادلون» لأن العدل مهما كان ظرفاً لتأهل الإمامة لم تكن لزامه الإمامة، فقد اكتفى بالشرط السلبي وهو عدم انتقاص الكلمات في مثلث أزمنة الحياة، حيث يراد هذه الإمامة الخاصة.

إذاً فكيف يحل الإمامة المحمدية وهي المطلقة القمة، من عبد وثناً فيما مضى، لا وحتى آدم الذي عصى ربه فغوى، ولا ذا النون إذ ذهب مغاضباً...

فنادى في الظلمات ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١] ولا موسى ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[٢] فضلاً عن الخلفاء الثلاثة الذين لا يسوون شسع آدم عليه السلام!.

ثم ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يستلزم أنه يناله غير الظالمين بصورة مطلقة، وإنما هو سلب لأهلية هذه الإمامة عن الظالمين، لا وإثبات للزوم الإمامة لغيرهم، فهم إذاً من هو كإبراهيم أم فوقه، وقد تحققت الإمامة فوق الإبراهيمية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعترته المعصومين اللّهم إلّا لفاطمة عليها السلام حيث اكتُفي بعصمتها.

فإنما «أبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة فصارت في الصفوة»[٣] وهم المصطفون حين جعْل الإمامة حتى الموت، مهما زادت

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٢) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٣) تفسير البرهان ١: ١٥٠ عن الكافي بسند متصل عن عبد العزيز بن مسلم في حديث فضل الإمامة قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو - إلى أن قال عليه السلام: - إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم ويقيموا إماماً باختيارهم، إن الإمامة لله عز وجل خصّ بها إبراهيم الخليل بعد النبوة والخلة=